



المصلة الطبيعية *

د. خالص جلبلي



هناك ما يمكن أن يسمى بالمصلة الطبيعية بين العلم والإيمان بين ما يكشفه البشر من تراكيب وسنن في هذا الوجود وبين ما يريده الله منهم في القضية الإيمانية التي تعتبر حاجة إنسانية بالدرجة الأولى تهدف إلى ترقية النوع وليس لمجرد حفظ النوع وهذا هو البعد الجديد في الإنسان الذي ميز الإنسان عن بقية الخلائق.

إن القرآن كتاب الله (المقروء

والكون كتاب الله (المنظور

(وبنية الإنسان من هذا القطاع، وكلتا الكتابين من الله، وكل منهما يدل على الآخر ويتممه، ولذا فإن المزيد من معرفة الوجود - ومنه الطبي تعني المزيد من معرفة الخالق جل جلاله، حيث إن الكون يقوم بوظيفتين (دليل على الله (ومسخر للإنسان) ولكن بالقوة لا بالفعل، ويتدخل جهد الإنسان بين نقله من القوة إلى الفعل.

ويقف الإنسان خاشعاً وهو يرى الإعجاز تحت المجهر في البناء الخلوي، أو عندما يغوص مع الأخطاط والتفاعلات المخيفة في أعماق الخلية والأنسجة، أو عندما يطارد عنصراً مشعاً من أجل اكتشاف تفاعل أو معرفة بتركيب، أو تقدير حياة خلية، أو آلية تأثير هورمون أو إنزيم (خميرة Enzyme) يخشع الإنسان وهو يرى تحت المجهر العادي فضلاً عن المجهر الإلكتروني الذي يكبر عشرات الآلاف من المرات، هذه الهندسة الرائعة في الخلايا، والارتباطات المحكمة والآيات المتناسقة والمتوازنة وهذا الجمال في كافة مستوياته. وكلما ازداد عمق البحث ازدادت الأشياء التي تكتشف وازداد تعقيد العلاقات، والتفاعلات، وآليات الاتزان، التي كانت تظن فيما سبق بسيطة.

إن مزيداً من العلم هو مزيد من شحنة الإيمان حيث ينقلب الوجود كله إلى (محراب لمعرفة الله وعبادته كما فعل عبده اليوم حيث حولوه إلى مرقص وحانة ومستودع للذخائر النووية، حيث مازالوا على ظن الملائكة فيهم ولم يحققوا بعد (علم الله فيهم.

(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهِ مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالِ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ... البقرة.

يجب أن نؤكد على النقطة التالية: إن تقدم العلم لن ينقض الإيمان، بل سوف يزيد من تعميقه، والإصرار على الحاجة إليه كقضية ملحة لا يمكن الاستغناء عنها، لذا يجب أن لا نخاف من زيادة العلم، بل يجب أن نفرح به ونتبناه، ونعص عليه بالنواجد.

(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَذِيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَءَالِدُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

يجب أن نعلم أن العلم سوف يخدم القضية الإيمانية أكثر من حماسنا، كما يجب أن نعلم أن المفاهيم التي تفقد الأرضية العلمية سوف تنطفئ مهما نفخ فيها من زار الحماس، سنة الله في خلقه..

* ينظر كتاب الطب محراب الإيمان.

